مقدمة:

تعتبر الترجمة الجسر الذي تعبر من خلاله اللغات والثقافات المختلفة والحضارات و وسيلة فعالة تمكن الإنسان من الانفتاح على غيره و معرفة تقاليده وميوله الثقافي و ذوقه الأدبي و تطوره العلمي. كما قامت الترجمة بنقل الحضارات من زمن إلى أخر و من مكان إلى أخر و ساهمت في بناء العلاقات بين الشعوب، و الأمم و تشييد صرح حضاري مشترك بين بني البشر. ولعبت الترجمة دورا بالغ الأهمية في المحافظة على الثقافات و الحضارات العالمية من الزوال سواء كانت منتشرة عبر المعمورة أو منحصرة في منطقة معينة.

في هذا المقام ، نستشهد بدور الترجمة العربية في بناء الحضارة العالمية خصوصا عندما لجأ الأوروبيون إلى ترجمة الكتب الإغريقية و الرومانية في ميادين الطب و علم الفلك و الفلسفة و غيرها من العلوم من اللغة العربية إلى لغاتهم، بسب فقدان الكتب الإغريقية و الرومانية الأصلية.

وفي عهد الخليفة المأمون لم يكن للدولة العباسية لتتطور دون اعتمادها على الترجمة من اللغات الأخرى إلى العربية خاصة الإغريقية إلى درجة أن سمي عصر المأمون بالعصر الذهبي للترجمة، إذ كان الخليفة المأمون جد سخيا على المترجمين وحفزهم على تعلمها و الاشتغال بها و تأسست في عهده مدرسة حنين بن إسحاق ببغداد . بعد ذلك، ظهرت بعد مدرسة للترجمة في الإسكندرية و في طليطلة باسبانيا منذ القرن الثاني عشر للميلاد.

و في عصرنا الحالي، لا تزال الترجمة تتمتع بمكانة مرموقة في العالم بأسره إلى درجة أنها أصبحت معيارا أساسيا يعتد به لمعرفة مدى تطور الدول، فكلما تضاعف عدد الترجمات من و إلى لغة معينة كلما كان ذلك مقياسا لتفوق الدولة على نظيراتها. بالإضافة إلى انتشار الترجمات الأدبية أو العلمية التي تحظى برواج منقطع النظير بين أوساط القراء، خصوصا وأننا نعيش في قرية صغيرة تمتاز بالسرعة و التدفق الهائل للمعلومات و بالتالي للغات و الإبداعات لذلك يقال كتاب غير مترجم هو كتاب نصف معروف.

أولا: ماهية الترجمة

يمكن القول أن الترجمة نشاط فكري مارسه الإنسان على امتداد التاريخ يجسد من خلاله عملية التواصل مع الأخر الذي لا يتقن لغته أو يجهلها تماما، هنا يتدخل المترجم إذا كان النص مكتوبا أو الترجمان في حال كانت اللغة شفهية. فكل منهما يقوم بإعادة صياغة الرسالة بعد استيعابها و تحويلها إلى لغة المتلقي بغية إفهامه مقصد الكاتب الأصلي. كما أننا نجد الترجمة حاضرة في داخل اللغة الواحدة و هي عملية تعني بأن يفسر المتكلم كلامه و يوضحه وهو مدلول لغوي محض. في نفس السياق عرفها ديديرو Diderotفي موسوعته بأنها " نسخة لخطاب تمت صياغته في لغة و نقل من لغة إلى أخرى " .

ومن بين التعريفات اللغوية للترجمة نذكر تلك التي نجدها في معجم روبارت الصغير Petit Robert التي تفيد بأن الترجمة تعني طريقة الترجمة و تعني كذلك نصا مكتوبا بلغة يتكافأ مع النص الأصل.

و فيما يخص التعريفات المتخصصة أو الاصطلاحية التي منحت للترجمة نجد أنها تختلف تبعا للأساس الذي يستند إليه في تعريفها ، فهناك من عرفها على أساس لغوي مثل كاتفرد Catford الذي عرفها بأنها "عملية تتم بين اللغات و تتمثل في تعويض نص كتب في لغة أصلية بنص كتب بلغة هدف و هي بذلك تندرج ضمن اهتمامات اللسانيات خاصة اللسانيات المقارنة " . و ضمن التصور اللساني للترجمة ذكر جاكبسن Jacobson ثلاثة أنواع لها و هي الترجمة داخل اللغة interlinguale أي أن العملية تتم داخل اللغة الواحدة وهو نفس التعريف الذي ورد في لسان العرب المتمثل في الإيضاح و التفسير ، الترجمة ما بين اللغات interlinguale وهي نقل لغة إلى أخرى و الترجمة ما بين سميائية intersémiotique التي تعني تحويل دلائل شفهية إلى أخرى غير شفهية مثل ترجمة نص إلى فيلم أو غير ذلك و هذا ما يعرف أيضا بالاقتباس.

وهناك من عرفها على أنها عملية تواصلية مثل العمليات التواصلية كالتواصل اللغوي بين المتكلمين مثل ما ذهب إليه جورج مونان.George Mounin

لكن مع تطور الأبحاث في علوم الترجمة تعززت مكانة الترجمة وأصبح مدلولها يتعدى الجانب اللساني المحض، و أصبح ينظر إليها كعملية لغوية وتواصلية ذات طابع ثقافي ينبغي على المترجم الانطلاق من نص لغة المصدر بغية استخلاص المعنى ثم الوصول إلى نص لغة الهدف ، ومنه نقل ثقافة الأصل إلى ثقافة الهدف مع مراعاة الاختلافات اللغوية والثقافية. كما أن هذا النقل في المنظور التواصلي للترجمة يركز على اللغة الهدف بدلا من التقيد باللغة المصدر. ضمن هذا التصور تعتبر "الترجمة هي عملية نقل ما بين لغوي يتمثل في تأويل معنى نص الانطلاق و إنتاج نص الوصول مع محاولة تحقيق علاقة التكافؤ بين النصين حسب معايير التواصل و في حدود الإكراه المفروض على المترجم الذي ينبغي عليه أن يعيد ما قاله كاتب النص الأصلي و ألا يحل مكانه ليصبح هو المتلفظ" .

و لكي يوفق المترجم في عملية الترجمة بحسب رايس Reiss عليه التركيز على عبقرية اللغة الهدف سواء كان ذلك في نحوها أو مفرداتها أو خصائصها الأسلوبية ، و هذا يتطلب من المترجم خبرة و تكوينا منهجيا يتعلق بالترجمة من جهة و معرفة شاملة بميدان الاختصاص الذي تتم فيه العملية الترجمية من جهة أخرى. هذا ما يؤهل المترجم للقيام بدور الوسيط مابين لغوي وما بين ثقافي بعدما كان مجرد ناسخ أو ناقل للغة.

في ذات السياق ، عرف غيدار Guidère الترجمة على أنها عملية تتم بين نقطة انطلاق وهي ما يعرف بالنص الأصلي أو المصدر أو نص الانطلاق و نقطة الوصول أي النص الهدف أو النص المترجم و هذه العملية ينفذها فاعل رئيسي وهو المترجم الذي يكون في مرتبة الوسيط أو المكيف للنص.

غير أنه بسبب التحول الثقافي و التواصلي في دراسات الترجمة أصبحت الترجمة لا تعني مجرد نقل محتوى لساني أصلي إلى محتوى لساني هدف ، و إنما بدأ العديد من المشتغلين في الحقل الترجمي يؤكدون على فكرة جوهرية تتمثل في تكييف النص الأصلي بحسب ثقافة المتلقي الهدف و عاداته و طرق تفكيره و تصوراته و أيدلوجياته وهي مقاربة تواصلية بامتياز.

مما سبق، يظهر جليا تغير النظرة إلى المترجم فبعدما كان مجرد ناسخ للغة و ناقل لها أصبح منتجا للنص الهدف. إلا أن أخلاقيات مهنته تفرض عليه أن يأخذ في الاعتبار النص الأصلي و كاتبه من جهة، وقارئ الترجمة و ثقافته سواء كانت عامة أو متخصصة من جهة أخرى.

ثانيا: مدلول الفعل الترجمي

لم يكن قديما الفعل "ترجم traduire" موجودا في اللغة الفرنسية لكنه ظهر في القرن 14 و يرجع أصله إلى اللغة اللاتينية translatus الذي يعني "نقل" أما "المترجم" فكان يقال له interpres وهو الذي يفك رمز الكلام و نجد كذلك في العربية "الترجمان" و دراغمان dragomanوهو شخص كان يرسل مع الوفود الرسمية خاصة في عهد الخلافة العثمانية. أما فعل الترجمة traduire أدخله أينشتاين Robert Estienne إلى اللغة الفرنسية سنة 1539 وفي سنة 1540 أضاف إيتيان دوليه Etienne Doletكلمتي. traducteur /traduction

تجدر الإشارة إلى أن كلمة الترجمة تحيل إلى مفهومين يتم التمييز بينهما بحسب سياق الاستعمال فالمفهوم الأوّل نعني به العملية الترجمية l'opération traduisante أو المسار أو الفعل الترجمي الذي يستعمل فيه المترجم مختلف أساليب الترجمة والمراحل العملية في تنفيذ ترجمته. أمّا الثاني يحيل إلى النتيجة التي يصل إليها هذا المسار أي حين تصبح الترجمة كنص مكافئ للنص الأوّل.

و من بين دلالات فعل ترجم traduire القيام بترجمة من لغة طبيعية إلى أخرى عن طريق إنتاج تكافئ تعبيري ودلالي و يعكس الفعل الترجمي العملية التي ينفذ المترجم من خلالها الترجمة بين لغتين أصل وهدف.

بحسب نايدا Nida تتلخص عملية الترجمة في أن ينتج المترجم رسالة هدف مكافئة لرسالة أصل تكون قريبة من ثقافة المتلقي وتمتاز بالتلقائية سواء من حيث معناها أو طريقة الكتابة في الثقافة المستقبلة ، ولا يتأتى ذلك إلا إذا قام المترجم بتحويرات على المستويين النحوي والمعجمي. كما يهدف الفعل الترجمي إلى إزالة العقبات اللسانية و الثقافية التي تعترض قارئ النص الهدف ، وهنا يتدخل المترجم الذي يكون مطلعا عليها و متكونا بطريقة تسمح له إعادة إنتاج محتوى النص الأصلي و نقله إلى الثقافة الهدف.

في المقابل، تعتقد رايس Reiss بعدم وجود توافق تام حول ماهية الترجمة و الفعل الترجمي ما يؤدي إلى وجود تناقض مرده إلى اختلاف الزاوية التي ينظر منها كل واحد من المنظرين أو علماء الترجمة ، خصوصا وأن الأهداف المرجوة من فعل الترجمة أو منتجها ليست متماثلة وأن أنواع النصوص والأجناس النصية وحتى الايدولوجيا تؤثر في طريقة الترجمة أو الفعل الترجمي و بالتالي يكون متعددا ؛ أي أننا نجد عدة طرق للتعامل مع نص يراد ترجمته.

كما ذهبت رايس إلى اعتبار الفعل الترجمي عملية يقوم فيها المترجم بالبحث عن المتكافئات المحتملة بهدف اختيار أفضلها وهي تعتقد بأن المتكافئات يمكن أن تكون على مستوى وحدات الترجمة أو على مستوى النص بأكمله. و من أجل إنجاح عملية البحث عن المتكافئات يقوم المترجم بحركة مستمرة ينتقل فيها ما بين النص الأصلي والنص الهدف بغية التأكد من مدى ملائمتها في النص الهدف.

ليست الترجمة حسب التصور التأويلي عملية تتم بين لغتين و إنما بين خطابين مختلفين فالفعل الترجمي لا يتقيد تماما بالخطاب الأصلي، و لكن يتحرر منه دون أن يلغيه تماما؛ أي أنه يتعين على المترجم استيعاب مقصد الكاتب و ينتج رسالة تكون مفهومة من طرف متلقي النص المترجم و مستساغة في ثقافته.

كما أشارت لدرر (Lederer)إلى أن الفعل الترجمي هو عملية نقل لمضامين مفهمية و عاطفية و اشترطت أن يكون المترجم متقنا للغتين المنقول منها و إليها و أن يهتم بكاتب النص و قارئ ترجمته الذي سيتفاعل معها.

ثالثا : المعوقات اللسانية في الترجمة

يقصد بالمعوقات اللسانية العقبات اللغوية التي تقف في وجه العملية الترجمية التي كثيرا ما تصعب من دور المترجم المتمثل في استيعاب محتوى لساني و ثقافي أصلي و إنتاج محتوى لساني و ثقافي هدف يكون مفهوما من لدن قارئ الترجمة ، لأن الترجمة تعني الفهم و الإفهام و معرفة المترجم للمعوقات التي تحد من نشاطه الترجمي ستساعده على التعامل معها و تقديم حلول مبنية على طريقة علمية و ليست حدسية تمتاز بالارتجال فالمعوقات يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

أ- المعنى:

يعتقد العديد من اللسانيين المهتمين بمسألة المعنى في الترجمة على غرار مونان Mounin الذي رفض اعتبار اللغة كقائمة من الأسماء التي تحمل معنى ثابتا و محدد مسبقا و هذا الرأي يتفق معه لاروز Laroseمعللا موقفه بأن الواقع يثبت عكس ذلك. فكل لغة تعبر عن نفس المفاهيم بعبارات مختلفة و هذا ما يعرف بفردانية اللغة في نظرتها إلى العالم.

ب -النظرة للعالم: vision du monde

كانت فكرة الترجمة ممكنة ما دامت النظرة إلى العالم موحدة بين بني البشر ، غير أن هذه المسلمة فقدت مصداقيتها مع العالم اللساني الألماني همبولت Humbolt الذي دافع بشدة عن اختلاف اللغات في نظرتها إلى العالم و تقسيمها لخبرات متكلميها لذلك استنتج استحالة الترجمة. و على الرغم من أن كل لغة تفرض منطقا معينا من التفكير على متكلميها و نظرة مغايرة للعالم مقارنة بلغة أخرى إلا أن هذه الفكرة لا تكفي للتسليم باستحالة الترجمة في الوقت الراهن لأن واقع الترجمة يثبت العكس فعدد الترجمات يزداد بوتيرة سريعة في كل مجالات المعرفة. و إذا كانت اللغة تعكس الفكر و تمثلاته فإنه من الضروري للمترجم أن يفهم نظرة اللغة المصدر إلى العالم و يحاول تكيفيها حسب نظرة اللغة الهدف، خصوصا عندما أصبح المتكلم الهدف هو أساس العملية الترجمية و هدف المترجم.

Larose ,Robert. Théories contemporaines de la traduction. 2 éd, Presses de l’Université du Québec, Québec, 1989. p 35

ابن منظور، لسان العرب ، مادة رجم، دار صادر بيروت.1955

Diderot, D d'Alembert. Encyclopédie ou dictionnaire raisonné des sciences, des arts et des métiers, http://xn--encyclopdie-ibb.eu/index.php/logique/823092813-synonyme/1023653560-.TRADUCTION. cons/23/03/2020

Le petit Robert, dictionnaire de la langue française, nouvelle édition .,Robert, 2012, p2592

Catford,J, A Linguistic Theory of Translation, Oxford Universty Press, 1965,p 01

Jakobson,R, On a Linguistic Aspects of Translation in The Translation Studies Reader Edited by Lawrence Venuti, Routeledge ,London,2000,p 114

Moumin, G. Les problèmes Théoriques de la traduction. Gallimard, Paris .1963, p 266

Delisle .Jean, Hannelore Lee-Jahnke, Monique C. Cormier. Terminologie de la traduction. Éditions John Benjamins. Philadelphia. 1999, p 83

Reiss, Katharina .Problématiques de la traduction. Pré, Ladmiral Jean Réné. Trad Bocquet, A,Caterine .Editions Economica ,2009. France, .p17

Guidère. M. Introduction à la traductologie : penser la traduction hier, aujourd'hui, demain. Collection traducto. 2 éditions. De Boeck. Belgique. 2010, p 14

Gouadec .Daniel. Le traducteur, la traduction et l'entreprise. Edition Afnor. Paris. 1989. P 03

Larose, Rober, op.cit, p 01

Munday, Jeremy and Basil Hatim, Introduction to translation studies ,published by Routeledge ,London,2001 , p 5

Le petit Robert, dictionnaire de la langue française, nouvelle édition, Robert,2012, p2592